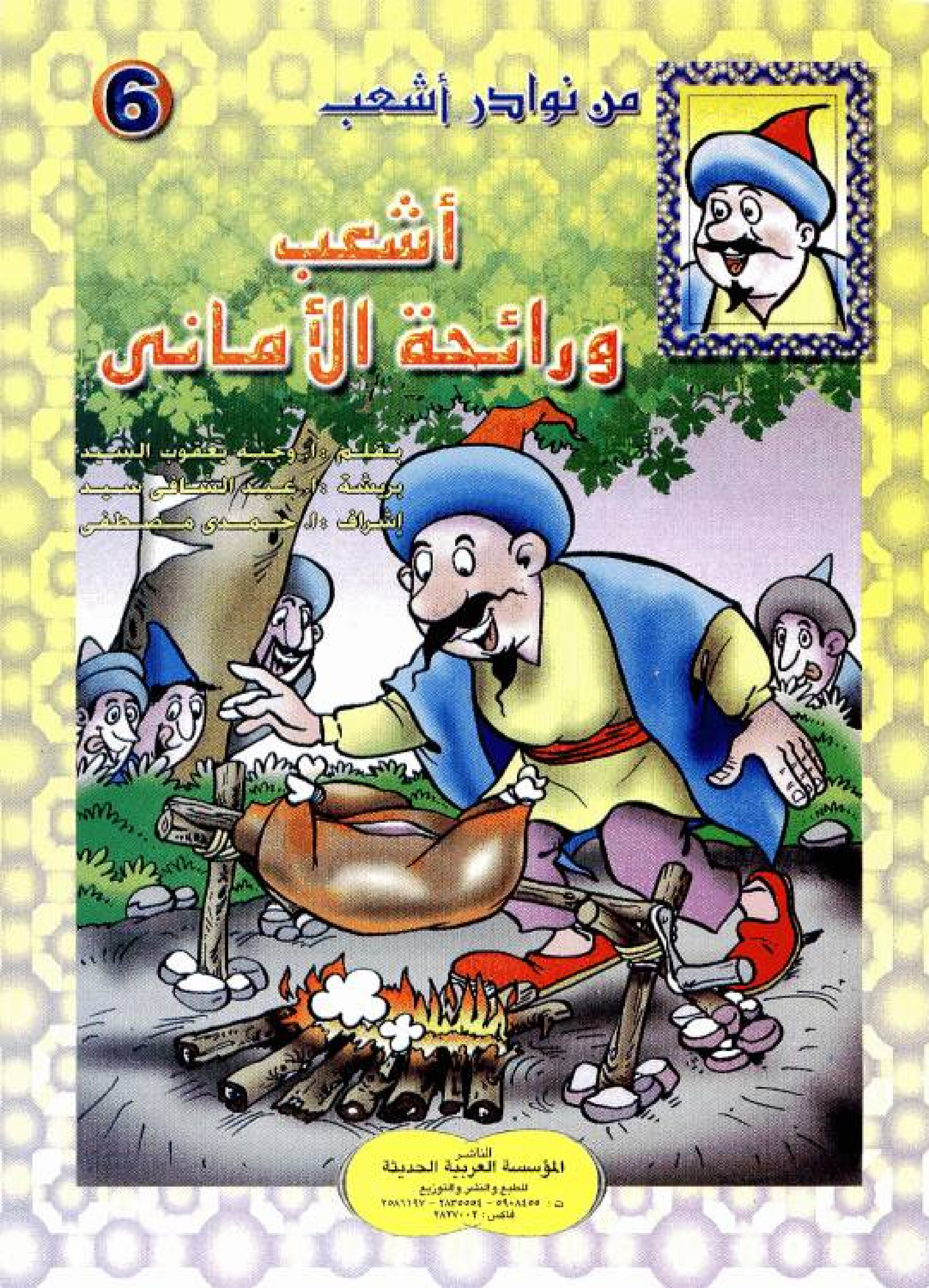


6
من نوادر أشعب
أشعب
ورائحة الأماني
بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٩٨٣٥٥٥٩ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٩٨٢٧٠٠٢

من نوادر أشعب



أشْعَبُ الطَّماع

شَخْصِيَةٌ حقيقيَةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهَم والشَّراهَةِ فى الأكْل ، يعْتَبرُهُ البعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّنَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظرَ دَعْوَةً من أحدٍ .

وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتّسمُ كلُّ مواقفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفّة روحه ومواقِفهِ الطَّريفَةِ !

أشعب ورائحة الأمانى

بقلم : ا.وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا.عبد الشافى سيد

إشراف : ا.حمدى مصطفى

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

فى يَوْمٍ منَ الأيَّام ، كان جماعةٌ منَ الأَصْدقاءِ مَدْعُوِّينَ عنْد صَديقٍ لَهُمْ فِى حَفْلِ عُرْسِ ابْنِه ، وبَيْنما همْ يأكُلونَ منْ أَصْناف الطَّعام والْحلْوَى ، دخلَ عليْهم أشْعب بِدون دَعْوَةٍ منْ أحَدٍ .

ولأنَّهم خافوا منْ أنْ يُشَهِّرَ بِهمْ أشعبُ ، فقدْ دعَاهُ أحدُهمْ لكَيْ يأْكُلَ معهُمْ .

تصَنَّع أشعبُ الْقنَاعَةَ ، وجلسَ فى أدبٍ جَمٍّ وقال :

ـ لقدْ أكَلْتُ فى بَيْتِى ، ولكنْ لا مانعَ منَ «النَّأْنَأَةِ» معَكُمْ :



أَبْدَى أحدُ الحاضرين دهْشَتَه ، ومالَ على صاحِبِه سائلاً :

ـ ما الَّذى يَعْنيه أشْعبُ «بالنَّأْنَأَةِ» .

كتمَ الرَّجلُ ضِحْكَتَهُ وقال فى هَمْسٍ :

ـ سوْف ترَى بنفسِك ما الَّذى يَعْنيه .

كانَ هذا الحديثُ الهامِسُ يمُرُّ على مَسامع أشْعبِ دونَ أنْ يُعِيرَهُ أدْنَى اهْتِمام ، فتظاهرَ بأنَّهُ لم يسْمَعْ شيئًا .

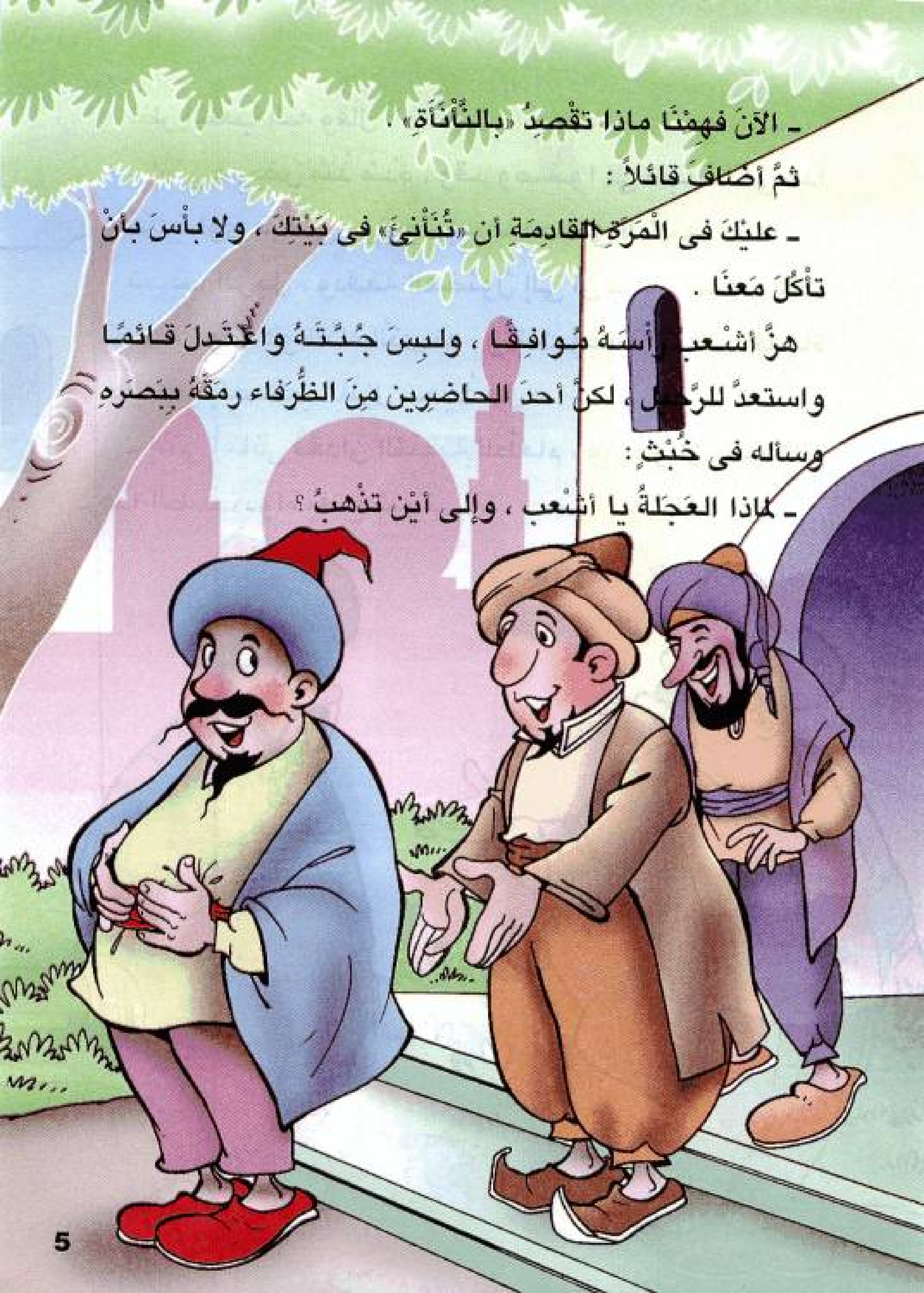


جلسَ أشْعبُ على مائدةِ الطَّعام ، وألْقَى نظرةً فاحصَةً متأنّيَةً على مُحْتوَياتها ، ثمَّ مدَّ يده وأخذَ منْ جميع الأصْناف ، وبدأ يلْتَهِمُ الطَّعامَ الْتِهامَ الْجائع الَّذى لمْ يذُقِ الطَّعامَ مُنْذُ أمدٍ بعيدٍ .

كانت عُيُونُ الْحاضِرين تَرْمُقُه وهو يَصُولُ ويَجُولُ ، لكنَّهمْ لمْ ينْطِقوا ببنْتِ شَفَةٍ خوْفًا من لِسانه السَّليط . بيْنما كان صاحبُ الْبَيْتِ يتحسَّرُ على الطَّعامِ الَّذى أتى أشْعبُ عليْهِ بأكْمَلِهِ .

ابْتسمَ صاحبُ الدار وقال ساخِرًا :





ـ الآنَ فهِمْنَا ماذا تقْصِدُ «بالتَّأْنَاةِ» .

ثمَّ أضافَ قائلاً :

ـ عليْكَ في الْمَرَةِ القادِمَةِ أن «تُتَأْنِيَ» في بيْتِكَ ، ولا بأْسَ بأنْ تأْكُلَ مَعنَا .

هزَّ أشْعبُ رأْسَهُ مُوافِقًا ، ولبِسَ جُبَّتَهُ واعْتَدلَ قائمًا واستعدَّ للرَّحيلِ ، لكنَّ أحدَ الحاضِرينَ مِنَ الظُّرَفاء رمَقَهُ بِبَصَرِهِ وسأله في خُبْثٍ :

ـ لماذا العَجَلةُ يا أشْعبُ ، وإلى أيْنَ تذْهبُ ؟



نظرَ أشعبُ إليْه وقال :

- إنَّنى مَرِيضٌ مُنْذُ مُدَّة ، وقد وَصَفُوا لى طبيبًا فى هذا الْحىِّ يُداوِى مَرَضِى ، وأعودُ بعْدها لحالَتى الطَّبيعِيَّةِ .

تعجَّبَ الرَّجلُ ، ودفعَهُ الْفضُولُ إلى أنْ يسْأَلَ أشْعبَ عمَّا يُعَانِيهِ ، وما هُوَ الدَّاءُ الَّذى بهِ ، وكانتْ إجابةُ أشْعبِ مفاجَأةً غيرَ سارَّةٍ لِصاحِبِ المنْزِل ، حيْثُ قال :

- إنَّنى أُعَانِى فُقْدانَ الشَّهِيَّةِ للطَّعامِ ، وأرْجو أنْ يَصِفَ لى هذَا الطَّبيبُ دواءً يفتحُ شهِيَّتِى !

صرخَ صاحبُ المنزِلِ صَرْخَةً مُدوِّيَةً ، وقال والغَيْظُ يَمْلأُ قلْبَه :

ـ باللَّهِ عليْكَ يا أشْعب ، إنَّ لى رجَاءً عِنْدَك .

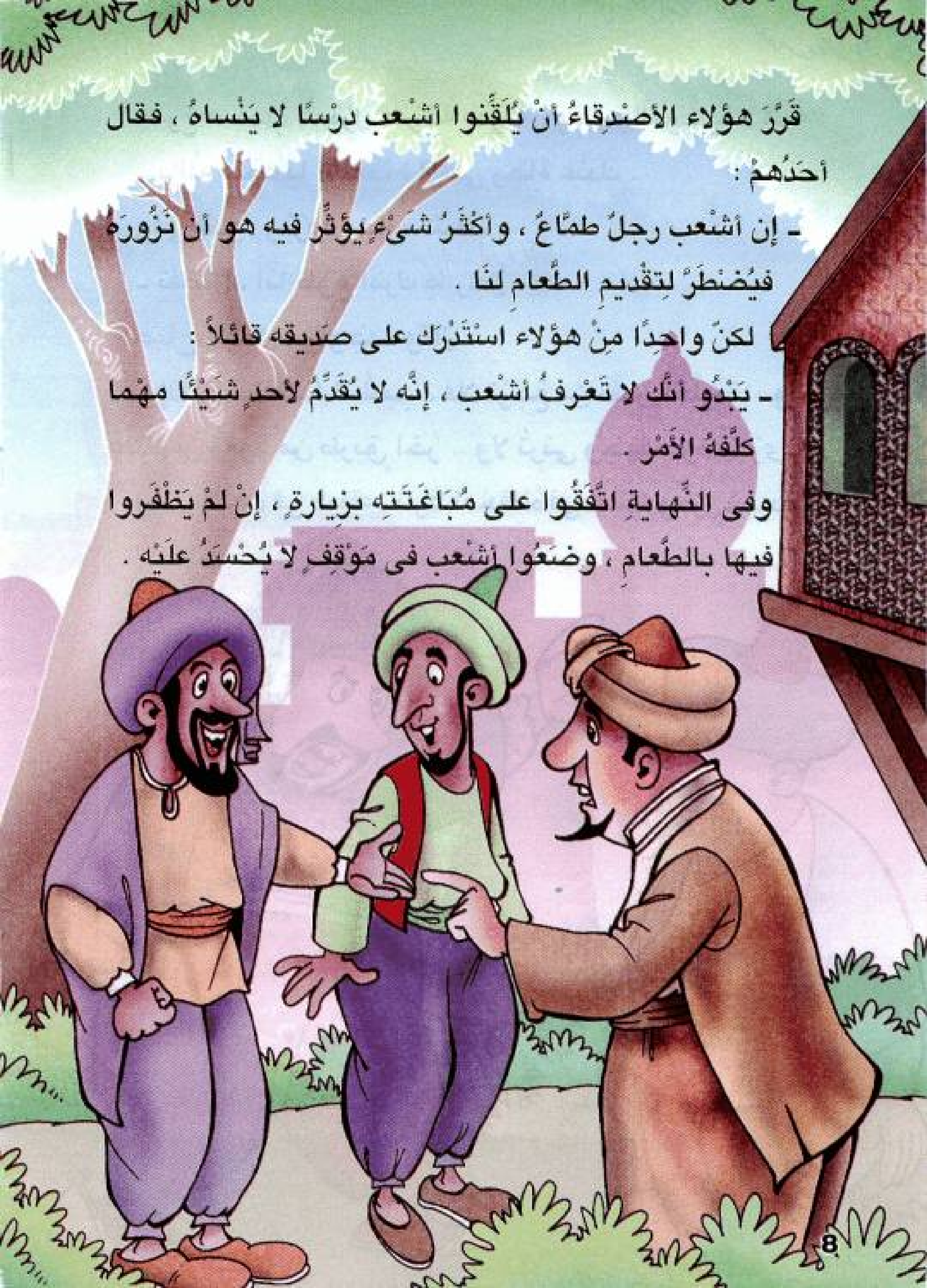
وفى هُدُوءٍ وبُرُودٍ أجابَ أشْعب :

ـ تفضَّلْ ، أنا طوْعَ أمْرِك يا رَجلُ .

صاح الرَّجل فِى وجْهِهِ وقال :

ـ إذَا عالجكَ هذا الطَّبيبُ ، فلا ترْجعْ من نَفْسِ الطَّريقِ ، ولكنْ عليْكَ أنْ تَعودَ مِنْ طريقٍ آخَرَ .. ولا تُرِنى وَجْهَك مرَّةً أُخْرَى !

مضى أشْعب فِى طريقِهِ ، تارِكًا أصْدِقاءَهُ فى حسْرَةٍ وحُزْنٍ شديدَيْن .



قَرَّرَ هؤلاء الأصدقاءُ أنْ يُلَقِّنوا أشْعب درْسًا لا ينْساهُ ، فقال أحَدُهمْ :

- إن أشْعب رجلٌ طمّاعٌ ، وأكْثَرُ شيءٍ يؤثِّر فيه هو أنْ نَزُورَه فيُضطَرُّ لتقْديمِ الطَّعامِ لنَا .

لكنَّ واحِدًا مِنْ هؤلاء استَدْرَك على صَديقه قائلاً :

- يَبْدُو أنَّك لا تَعْرفُ أشْعب ، إنَّه لا يُقدِّمُ لأحدٍ شيْئًا مهْما كلَّفهُ الأمْر .

وفى النِّهايةِ اتَّفقُوا على مُباغَتَتِه بزِيارةٍ ، إنْ لمْ يَظْفَروا فيها بالطَّعامِ ، وضَعُوا أشْعب فى موْقفٍ لا يُحْسَدُ عليْه .



وفى المَساءِ الْتَقَى الأصْدِقاءُ ، وهَجَمُوا على بَيْتِ أشْعب فى وقْتٍ غيْرِ مُتَوَقَّعٍ .

لمْ يُصَدِّقْ أشْعبُ عَيْنَيْه وهُوَ يرَى هؤلاءِ الأصْدِقاءَ واقفِينَ أمامَهُ ، وراحَ يُفَكِّرُ فى نفْسه :

ـ ما الْعَملُ ؟ إنَّ هؤلاء الأصْدقاءَ قدْ أكْرَمونى أيَّما إكْرامٍ ، ولو قَصَّرْتُ فى واجبِ ضِيافَتِهِمْ لما أكْرَمُونى بعْدَ ذلك .

لكنَّه اسْتَقْبَلَهمْ بحَفاوَةٍ بالِغَةٍ وقال فى ذكاءٍ نادرٍ :

ـ أهلاً بالأصْدقاء ، لقدْ نزَلْتُمْ بَيْتًا أهْلُهُ كُرَماءُ ، يتَّسِعُ لِكُلِّ الأحْباب والأصْدِقاء ، حتَّى وإنْ لمْ يكُنْ به شَيْءٌ سِوَى الْماءِ .

نظرَ الأصدِقاءُ بعضُهُمْ إلى بعْضٍ ، وأيْقَنوا أنَّ أشْعب قدْ سدَّ عليْهِمُ الطَّريقَ بهذه العِبارَةِ الأخيرةِ التى قالها ، والَّتى تُوحِى بأنَّ بيْتَهُ خاوٍ مِنَ الطَّعام ، لكنَّهمْ قرَّروا أنْ يَبْقَوْا - برَغْم ذلك - جالسينَ لا يَبْرَحُونَ المَكانَ .

مرَّ وقْتٌ طويلٌ دُونَ أن يقدِّمَ أشْعبُ لِضُيُوفِهِ شَيْئًا سِوى بعْضِ النُّكاتِ السَّخيفةِ ، فداعبَهُ أحَدُهم بقوْله :

- لقد مرَّ جزْءٌ من اللَّيْل طويلٌ ، دونَ أنْ يَبْدُوَ للطَّعام دليلٌ ، فما الَّذى يَمْنَعُكَ مِنْ تقْديم الطَّعامِ ، بعْد أنِ انْتَهَيْنا من كلِّ أنْواعِ الْكلامِ ؟!

ضحِكَ أشْعب وقال :



- قاتلَ اللَّهُ الْفاقَةَ ، فلَوْ كانَ معي مالٌ لاشْتَرَيْتُ لكمْ شِواءً !

ولمْ يكدْ أشْعبُ يُكْمِلُ عِبارتَهُ حتَّى فوجِئَ بأصْدقائهِ يَصيحُونَ :

- ما أطْيَبَ اللَّحْمَ الْمَشْوِيَّ وما أجْمَلَهُ !

كانَ الأصْدِقاءُ يَنْوونَ إحْراجَ أشْعَبَ ومضَايقَتَهُ ، ولكِنَّ الْبُرُودَ الَّذي كانَ يتَّصفُ به لم يُشْعِرْهُ بالْخَجَلِ مُطْلَقًا ، مما اضْطَرَّ الأصْدِقاءَ إلى أنْ ينْسحِبوا ويطْلُبوا الانْصِرافَ بدلاً منْ طُول الانْتِظارِ بلا فائِدَة ..

استأْذَنَ أحَدُهم منْ أشْعب قائلاً :

- يا لكَ من رجُلٍ مِضْيافٍ ، فلْتَسْمَحْ لنا بالانْصِرافِ ، فيَبْدو أنَّ كلَّ أيَّامكَ عِجَافٌ .



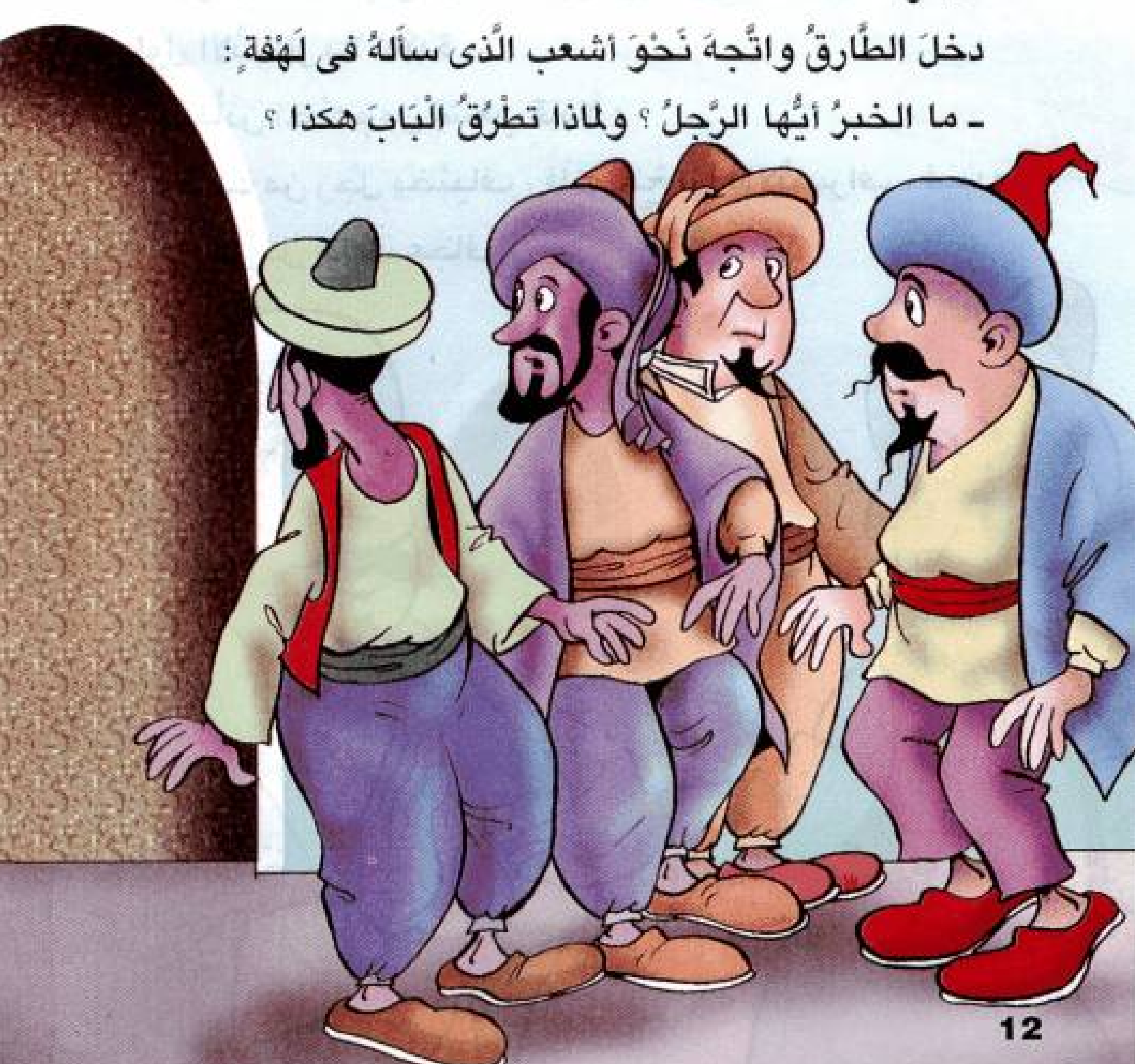
ابْتسمَ أشْعب بلا مُبالاة وقال وهو يُوَدِّعُ أصْدِقاءَهُ :

ـ لقدْ سَعِدْتُ بالزِّيارةِ ، وبِصَحيح العِبارة : هكذا تكونُ الزِّيارَةُ .

استعَدَّ الأصْدقاءُ ، واتَّجهوا نحْوَ الباب ، لكِنَّهُمْ فُوجِئوا برَجُلٍ يطْرُقُ الْبابَ طرْقًا شديدًا ، فانْتَظَروا حتَّى يعْرِفوا ما الأمْرُ .

دخلَ الطَّارِقُ واتَّجهَ نَحْوَ أشعب الَّذى سأَلهُ فى لَهْفةٍ :

ـ ما الخبرُ أيُّها الرَّجلُ ؟ ولماذا تطْرُقُ الْبابَ هكذا ؟



الْتقطَ الرَّجلُ أنْفَاسَهُ ثمَّ قال :

- إنَّ امْرأتى حامِلٌ - كما تعْلَمُ - يا أشْعب ، ونحْنُ جيرانٌ ، والنَّبِى أوْصَى بسابعِ جارٍ .

تظاهرَ أشْعبُ بالشَّهامةِ والنَّجْدَةِ وقال فى لَهْجَةٍ قاطِعَة :

- إذَنْ فأنْت تُرِيدُ منِّى أنْ أُرْسلَ زَوْجتى لتُسَاعِدَ زوْجَتكَ فى الْوَضْعِ ؟

هزَّ الرجلُ رأْسَهُ بالنَّفْى ثمَّ قال :

- باركَ اللَّهُ فيكَ يا أشْعب ، فإِنَّ موْعِدَ الوَضْعِ لمْ يحِنْ بَعْدُ .



تعجَّبَ أشعبُ وتساءَلَ فى حَيْرَةٍ :

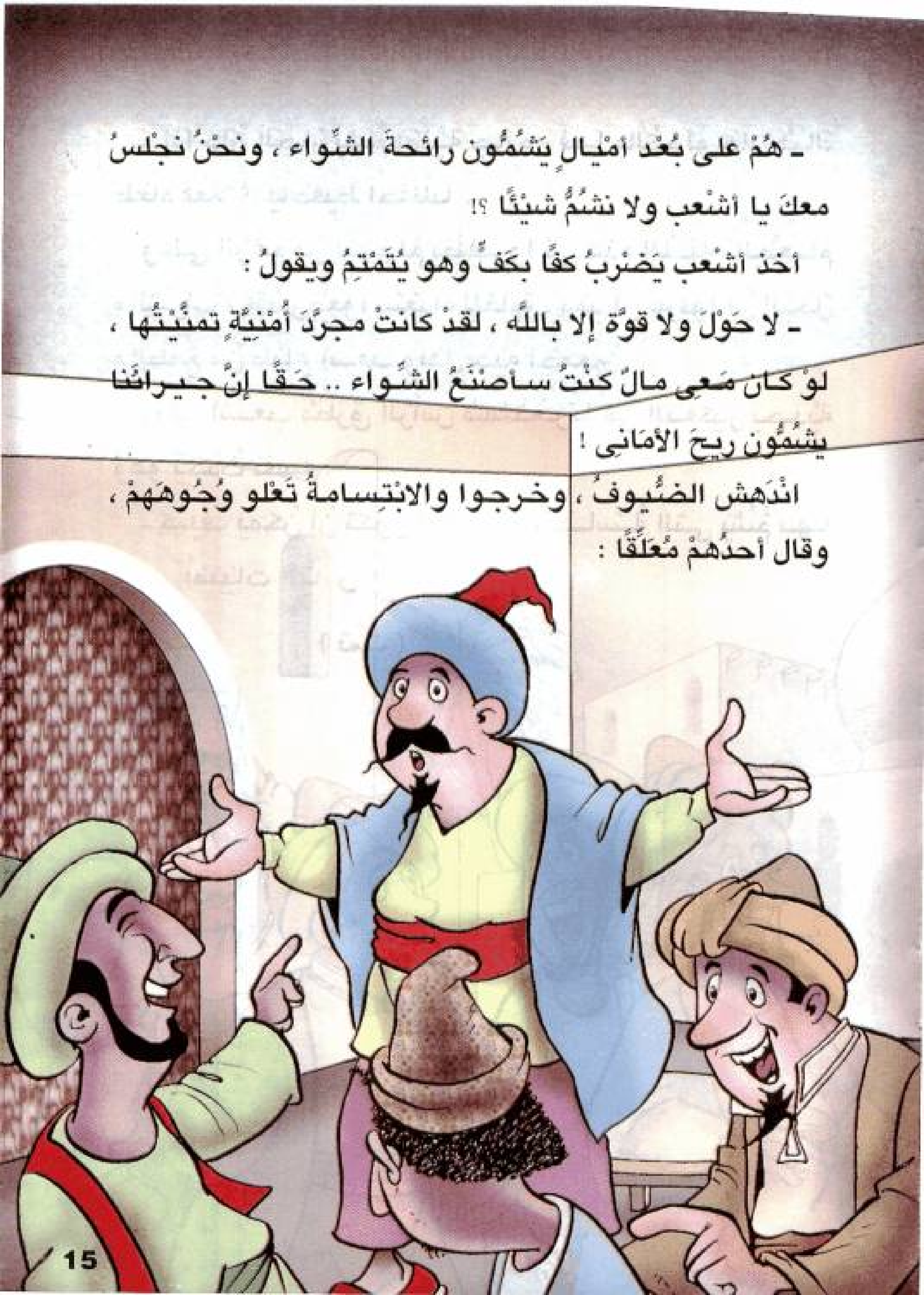
ـ إذَنْ ماذا تريدُ بالضَبْط ؟

ردَّ الرجلُ قائلاً :

ـ لقدِ اشْتـهَتْ زَوْجـتى اللَّحْمَ المشْوىَّ ، وقدْ وصلَتْ إليْهـا رائِحَةُ شِـوائِكمْ ، فبـعَـثَتْنى إليْك لِكىْ تُرسِلِ إليْهـا القليلَ منَ الشِّواءِ ، وأنتَ تعلمُ ، أنَّ النَّفْسَ تَقْنَعُ باليَسير .

لمْ يكَدْ يُتمُّ الرَّجلُ كلامَهُ حتَّى انْفجرَ الضُيوفُ بالضَحك ، وقال أحَدُهم :





- هُمْ على بُعْدِ أميالٍ يَشمُّون رائحةَ الشّواء ، ونحنُ نجلسُ معكَ يا أشْعب ولا نشمُّ شيئًا ؟!

أخذ أشْعب يَضْربُ كفًا بكفٍّ وهو يُتَمْتِمُ ويقولُ :

- لا حَوْلَ ولا قوّة إلا بالله ، لقدْ كانتْ مجرّدَ أُمْنيةٍ تمنَّيْتُها ، لوْ كانَ مَعي مالٌ كنْتُ سأصْنَعُ الشّواء .. حقًّا إنَّ جيرانَنا يشمُّون ريحَ الأماني !

اندَهش الضُّيوفُ ، وخرجوا والابْتِسامةُ تَعْلو وُجُوهَهمْ ، وقال أحدُهمْ مُعلّقًا :

- إذا كانَ الجارُ يشمُّ أُمْنِيَةَ جارِه ، فما بالُكُمْ لو كان هُنَاكَ طعَامٌ فِعلاً ؟! ياحَفيظُ احْفَظْنَا .

وعلى الرَّغْمِ منْ أنَّهمْ لمْ يَظْفَروا في هذه اللَّيلةِ بالطَّعامِ والشَّرابِ ، فقَدْ رجَعوا سُعَداءَ للْغايةِ ، بعْدَ أنْ عَرَفوا أنَّ البُخْلَ والطَّمعَ منْ طبَاعِ أشْعب وأهْلِ حَيِّه أجْمعينَ .

وبَقِيَ أشْعب مُطْرِقَ الرَّأْس مُسْتَغْرِقًا في التفكير بجدِّيَّة وهو يحدِّثُ نفسَه :

- كيفَ يُمكنُ أنْ تكونَ لدَيْه هذه الحَاسَّةُ التي يَشُمُّ بها أُمْنِيَّاتِ النَّاسِ ؟

(تمَّت)

